

النظرة المستقبلية الحضارية

أبيها الرفاق والاخوة^(١)

ان لقاءكم واجتماعكم في هذا الظرف العصيب الذي تمر به امتنا العربية لهو جواب طبيعي بل ضروري يصدر عن ضمير الامة التي تمثلون مستقبلها ليرد على روح اليأس والتداعي بالايمان والتفاؤل والعزيمة الصادقة، لقد كنتم دوما يطلاب الامة العربية المستجيب لنداء المسؤولية التاريخية في أحلك الظروف وأقسى اللحظات، وهذا دليل على ان امتنا تجدد شبابها، تستعيد حيويتها ونضارة شعورها بالحياة، بأنها استطاعت ان تلهم الشباب شعور المسؤولية وان تحرك فيهم الطموح والتطلع الى المستقبل رغم ما يشوب الحاضر من أمراض ومن تراجمات.

أبيها الاخوة

اني ارى في اجتماعكم رمزاً وطريقاً، رمزاً لصعود الامة، وطريقاً للتغلب على المصاعب الراهنة، فنحن لانستطيع ان نسيطر على الحاضر اذا لم نؤمن بالمستقبل، كذلك أبيها الاخوة والرفاق، ان في مشاركة ممثلي القوى التقدمية في العالم لكم في مؤتمركم لديلاً آخر ورمزاً آخر يشير الى مستقبل القضية العربية، والى طبيعة النهضة العربية الحديثة بانها جزء لا يتجزأ من مصير الانسانية، وانها مع القوى التقدمية في مصير مشترك وتفاعيل دائم، فنحن اذن كما اننا لانسيطر على الماضي الا اذا آمننا بالمستقبل، كذلك لانحقق النصر لقضيتنا القومية اذا لم نؤمن بالعالم وبالانسانية

(١) كلمة بحضور أعضاء الوفود الطلابية العربية والاجنبية المشاركة في اعمال المؤتمر التأسيسي الاول للاتحاد العام للطلبة العرب المنعقد ببغداد خلال شهر كانون الاول عام ١٩٧٦.

وبصلتنا العضوية بهذا العالم وبمسؤوليتنا عنه، وعن مصيره ومستقبله كما هو مسؤول
عن مصيرنا وعن مستقبلنا.

أيها الرفاق والاخوة

لم تصبح القضية العربية قضية معاصرة وموضع اهتمام العالم الا عندما
وضعت، او جعلت نظرتها نظرة مستقبلية حضارية، الا عندما استلهمت أصالة امتنا
التي لم تكن لترضى لنفسها بأن تشغل بأمورها الخاصة، وينفعها الخاص، وانما
كانت بداية انطلاقها الحضارية تقوم على نظرة انسانية شاملة، وعلى تصور انساني
حضاري يرتب على الشعب العربي مسؤوليات جديدة تجاه اخوته في الانسانية،
ولذلك لم تستقم ثورتنا العربية الا عندما استردت هذه النظرة الايجابية الى الحياة
والي المستقبل، الا عندما نظرت بإيمان وتفاؤل الى جماهير الشعب العربي رغم كل
عوامل التخلف، ورغم كل القيود المادية والفكرية التي كانت وما تزال الى حدما
تكبل قدرات هذه الجماهير.

نظرت الثورة العربية بتفاؤل وايمان بالقدرات الكامنة بهذه الجماهير وراهن
عليها، ليس من أجل تحقيق اهداف محدودة اي أن يتخلص العرب من الاحتلال
الاجنبي، وأن يتخلص العرب من التخلف والتجزئة، ولكن من اجل مشروع
حضاري ترجع فيه الامة العربية الى العطاء الايجابي لتساوى مع الامم والشعوب
بهذا العالم في بناء المستقبل الحر الذي نطمح اليه.

أيها الرفاق . . أيها الاخوة

نحن في ظروف صعبة قاسية، ولكن لننظر اليها نظرة تحليلية عميقة، هل هي
ظروف طبيعية؟ هل تعبر عن حقيقة الامة العربية؟ عن حقيقة إمكانات الجماهير
العربية؟ هل نحن نعود الى الوراء بعد ان تقدمنا في الربع الاخير من القرن الحالي
تقدماً ملموساً، ام نحن امام نكسة عارضة لاستخف بها، وانما لانذعر ولا نتشائم،
ننحني عليها لندرس أسبابها، ولنعرف كيف نتغلب عليها؟ ولكن لايجوز ان يغيب
عن بالنا ان كثيراً من الاصطناع وكثيراً من الافتعال وكثيراً من التخريب الخارجي
المخطط يدخل في مظاهر هذه النكسة وهذا التردي الذي نشاهده.

اننا حققنا قبل عشرين سنة انتصارات وخطوات تقدمية وانتصارات تحررية، شهد لها العالم، ولكننا نسينا ان الاعداء، ان الاستعمار والصهيونية، قد تنهوا الى تفجر القوة العربية، فراحوا يدرسون مكامن هذه القوة واسباب ظهورها وتفجرها، وانصرفوا الى تجديد أساليبهم في محاربتنا، والى استخدام أقصى ما وصل اليه العلم في شتى المجالات ليعيقوا تلك النهضة، ونحن لم نطور اساليبنا ولم نجدد خططنا، وهكذا فاجأنا الاعداء بما لم نكن مستعدين له، ولكننا - أيها الاخوة - كأمة ناهضة فتية تنبعث من جديد لانخاف من هذه الاخطاء، بل نعتبرها مناسبات لكي نصحح سيرنا ولكي نعمق تفكيرنا، ولكي نرتقي دوماً باساليبنا وبأدواتنا الى المستوى الذي يحمي ثورتنا ويشق طريقها الى المستقبل.

ان في محاربة الامبريالية والصهيونية ما يعزز ايماننا بدورنا الانساني، اذ لو لم يكونوا متخوفين من أصالة هذه النهضة العربية ومن قوتها، وقوة العطاء فيها لما جمعوا لها كل هذه المعوقات ووضعوها في طريق النهضة العربية، ان في قضية فلسطين - أيها الرفاق - ما يلخص وضعنا في هذا العصر وفي هذا العالم، ان التآمر الاستعماري الصهيوني على فلسطين هو في حقيقته تآمر على النهضة العربية كلها، اذ لم يعرف التاريخ ان تجمعت قوى شريرة بمثل هذه الوسائل الخبيثة الفتاكة لكي تخنق نهضة أمة وتحول دون وحدتها مثلما وقع للامة العربية في فلسطين، فاذن، نحن عندما نكاد ننسى آفاقنا الحضارية، وأبعادنا الانسانية، يأتي الاعداء ليذكرونا بها بتآمرهم، بمكائدهم، ولكنهم يسرون ضد تيار التاريخ ونحن نمشي في اتجاه حركة التاريخ، وحركة المستقبل، وهكذا نرى ان قضية فلسطين تكاد تصبح قضية العالم، قضية الانسانية، قضية العصر، أي درس نستخلص - أيها الرفاق - من هذه الملاحظة؟

نستخلص ان نضالنا لا يمكن ان يتكافأ مع قوة الاعداء ووسائلهم اذا لم يكن أولاً: نضالاً عربياً موحداً، وثانياً نضالاً انسانياً تقدماً.

بهذا التشوف، بهذا التطلع الى المستقبل، استقدام المستقبل الى الحاضر نستطيع ان نغني نضالنا وثورتنا، وكلما ضاق افقنا تعثرنا وفشلنا.

الثورة الفلسطينية - أيها الرفاق - هي حدث تاريخي في حياة امتنا في هذا

العصر، انها وضعت المستوى الذي يتوجب على العرب بلوغه، والارتقاء اليه في نضالهم، وفي تفكيرهم لكي يخلقوا نهضة ايجابية معطاء. الثورة الفلسطينية بوضعها الكفاح المسلح، والعمل الفدائي طريقا للثورة العربية، أعطت الجواب على متطلبات المرحلة الجديدة في مراحل نهضتنا، فالنهضة العربية أمام كل هذه القوى المعادية وأمام القوى الرجعية الداخلية المتآمرة والمعطلة لمسيرة النهضة العربية لم يعد يكفيها النضال السياسي - ولو انه مطلوب - لكنها ككل النهضات الاصلية، النهضات التاريخية، تعبر عن نفسها بموقف جدى من الحياة والموت، ولا اخفي رأيي فيما تسرب الى الثورة الفلسطينية من سلبيات يجب ان نراها بوضوح لكي نتقي الثورة منها.

لقد تسربت الى الثورة الفلسطينية عدوى مرضين تعاني منهما الثورة العربية ككل هما: القطرية، وحب السلطة، وهما متلازمان، بل متعاونان يركز كل واحد منهما على الاخر، ويستمد منه قوة وغذاء، اذن لم يكن ذلك أصيلا في الثورة الفلسطينية بل كان موقف رد فعل على قطرية الانظمة العربية وعلى استهتار تلك الانظمة بالقضية الفلسطينية او على محاولة احتوائها وتسييرها لغير الاهداف القومية، ولكن ردود الفعل ليست من صميم الثورة، ليست من روح الثورة بل هي امراض تعزيبها، وما زال للثورة الفلسطينية دور كبير، وما يزال المستقبل أمامها عندما تتخلص من التفكير القطري وتدرك انها هي الجزء الاصيل من الثورة العربية، وعندما تسترجع النفس الطويل والنظر البعيد دون ان تستوقفها رؤية سلطة غير متوفرة المقومات، وعندما نرجع الى الرؤية الاصلية الثورية، وهي النضال الطويل لاستكمال الاهداف القومية الكبرى، وهذا ما يجعلنا نقيم وزنا كبيرا لاجتماعكم - أيها الاخوة والرفاق - ونعتبره بدايات مليئة بالوعد والامل، لانكم بحكم وضعكم كطلاب عرب بعيدون عن هواجس السلطة، والوصول الى السلطة.

أيها الاخوة

اننا أمام مهمة كبيرة تتطلب بالدرجة الاولى الوحدة والتوحيد، توحيد النضال بين جماهير الامة العربية وصولا الى الوحدة العربية التي لا تقوم الا على سواعد الجماهير

ويملاء حريتها ونضالها لا في الوحدات المصطنعة المزيفة التي تفرض من فوق، ولا ترى النور حتى توأد وتتلاشى .

الوحدة التي هي طريق الخلاص والانقاذ هي التي تنقل امتنا وجماهير شعبنا من حالة الدفاع والتراجع الى حالة الهجوم والتقدم . ليست الوحدة التي تعمل غطاء للتسوية، غطاء لتصفية القضية، فلم يعد احد ينخدع بهذه الألاعيب، الوحدة - أيها الرفاق - هي القيمة الثورية العليا التي لم تعط حتى الان ما تستحق من اهتمام ومن جد وإخلاص، فهي تتطلب تربية جديدة، وعيا عميقا، يشعر كل عربي بأن ما يصيب وطننا واقطارنا من ترد ومن تمزق، وما يمكن الاعداء من التلاعب بمصيرنا ان هو الا نتيجة عجزنا حتى الان عن فرض الوحدة، لان الوحدة لا تقوم الا اذا فرضتها الجماهير العربية بانطلاقة حرة تنتزع من خلالها كل حقوقها، حقها في تقرير مصيرها، حقها في بناء مجتمعها، هذه هي الخطوة التي يجدر بالشباب العربي الواعي المثقف، بشباب الوطن العربي كله على اختلاف أقطاره واجتهاداته ان يجعلها الهدف الاول والاسمى .

أيها الرفاق

انكم تعطون كما قلت، تعطون لاجتماعكم هذا أملا لامتكم، ورمزا وهاديا الى الطريق عندما تلتقون من جميع الاقطار العربية ومن مختلف الاجتهادات، وتتحاورون في سبيل الوصول الى صيغة مشتركة موحدة للعمل والنضال وبناء المستقبل انما تعطون الصورة، صورة الوحدة الحقيقية التي تولد من التنوع ومن التعدد ومن الرأي الحر، ومن الجواب الجدي، هذه الوحدة الراسخة، هذه هي الوحدة الحية التي يكتب لها البقاء .

والثورة العربية ليس امامها الا هذا الطريق بعد ان رسخت هويتها واستقلاليتها، واكتشفت طريقها الخاص بين ثورات العصر، لم يعد من خوف عليها ان تفتح وتتجاوز وتغتني بالرأي المخالف، وبالارادات الحرة، هذا هو مستقبلنا الان، هذه هي المرحلة الجديدة - أيها الرفاق - ولئن كنا من حين لآخر نرى فائدة بل ضرورة لكي نؤكد على استقلاليتنا، ولكي نبرز ملامح طريقنا الخاص، ولكي نحرك ونهزّ

شعور الاصاله في كل عربي من أجل الانطلاق الى مستقبل مبدع، لئن كنا بين حين وآخر نوضح هذه الامور، فليس يعني ذلك اننا مقتنعون بالانكماش ضمن الحدود، واننا مكتفون بأفكارنا ونظرتنا، واننا مغلقون على غيرنا بل على العكس من ذلك، ان التأكيد الشخصي هو الذي يعطي ثقة بالنفس من أجل الانفتاح الكبير، الانفتاح الاخلاق، ولذلك لايجوز ان يبقى أي لبس وأية شبهة على هذه الناحية من ملامح الثورة العربية. الثورة العربية كانت مطالبة، مسؤولة، مضطرة لكي تضمن لنفسها مقومات النجاح والاستمرار ان تبحث عن خصوصيتها، ان تخرج من ضباب المجردات، ان تقف على الارض، وتهتدي الى الارض الخصبة التي تثمر فيها الجهود لذلك كانت لها وقفة في الماضي من التراث، من الاصاله، ليس بدافع عاطفي، وليس بنظرة رجعية الى الوراء وانما التطلع الى المستقبل الذي دفعها الى وجدان شخصيتها الحققة، ولكنها بعد ان اجتازت المرحلة التي تطمئنها على هذه الشخصية، وعلى استقلاليتها، وعلى انها تتكلم لغة الجماهير الشعبية لكي تحرك هذه الجماهير نحو نضال تاريخي، بعد ان تأكدت من ذلك كله هي واثقة من نفسها اكثر من أي وقت مضى، بعيدة عن التعصب والضيق، تفهم انها حركة تاريخية وليست فتوية، وتفهم انها للعرب جميعا بل للانسانية، وتعرف انها بحاجة الى الاخذ كما انها بحاجة أمس وأقوى الى العطاء.

أيها الرفاق والاخوة

ان اجتماعكم في هذا البلد المناضل الذي بيني تجربة لنفسه وللأمة العربية بنظرة متفتحة، وبطموح قومي انساني، ان لقاءكم وأنتم مستقبل الأمة العربية وأملها، مع هذا القطر وتجربته التي هي ايضا امل من آمال الأمة العربية ومستقبلها، هو حدث نتمنى ان يكون له تاريخ، وان يكون بداية لتغيير أساسي في أوضاع الوطن العربي كله، للانتقال الى المرحلة الهجومية الايجابية الخلاقة التي هي وحدها الجديرة بشباب امتنا. والسلام عليكم.

كانون الاول ١٩٧٦